ثم ذكر ا تعالى مناشدة نوح ربه في ولده وسؤاله له عن غرقه على وجه الإستعلام والإستكشاف .

ووجه السؤال : أنك وعدتني بنجاة أهلى معي وهو منهم وقد غرق ؟ .

فأجيب بأنه ليس من أهلك أي الذين وعدت بنجاتهم أي إنا قلنا لك : { وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم } فكان هذا ممن سبق عليه القول منهم بأنه سيغرق بكفره ولهذا ساقته الأقدار إلى أن انحاز عن حوزة أهل الإيمان فغرق مع حزبه أهل الكفر والطغيان .

ثم قال تعالى : { قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سمنتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم } .

هذا أمر لنوح عليه السلام لما نضب الماء عن وجه الأرض وأمكن السعي فيها والإستقرار عليها أن يهبط من السفينة التي كانت قد استقرت بعد سيرها العظيم على ظهر جبل " الجودي " وهو جبل بأرض الجزيرة مشهور : { بسلام منا وبركات } أي أهبط سالما مباركا عليك وعلى أمم من سيولد بعد أي من أولادك فإن ا لم يجعل لأحد ممن كان معه من المؤمنين نسلا ولا عقبا سوى نوح عليه السلام قال تعالى : { وجعلنا ذريته هم الباقين } فكل من على وجه الأرض اليوم من سائر أجناس بني آدم ينسبون إلى أولاد نوح وهم : سام وحام ويافث .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة أن النبي A قال : [سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم] .

ورواه الترمذي عن بشر بن معاذ العقدي عن يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن سمرة مرفوعا نحوه .

وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر : وقد روى عن عمران بن حصين عن النبي A مثله قال : والمراد بالروم هنا الروم الأول وهم اليونان المنتسبون إلى رومي بن لبطي بن يونان بن يافث ابن نوح عليه السلام .

ثم روى من حديث إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال : ولد نوح ثلاثة : سام ويافث وحام وولد كل واحد من هذه الثلاثة ثلاثة : فولد سام : العرب وفارس والروم وولد يافث : الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وولد حام : القبط والسودان والبربر .

قلت : وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا إبراهيم بن هانىء وأحمد بن حسين ابن عباد أبو العباس قالا : حدثنا محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي : حدثني أبي عن

يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول ا A : [ولد لنوح : سام وحام ويافث فولد لسام العرب وفارس الروم والخير فيهم وولد ليافث : يأجوج ومأموج والترك والصقالبة ولا خير فيهم وولد لحام : القبط والبربر والسودان] .

ثم قال : لا نعلم يروى مرفوعا إلى من هذا الوجه تفرد به عن محمد بن يزيد بن سنان عن أبيه وقد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه ورواه غيره عن يحيى بن عسيد مرسلا ولم يسنده وإنما جعله من قول سعيد .

قلت : وهذا الذي ذكره أبو عمر هو المحفوظ عن سعيد قوله : [وهكذا روى عن وهب ابن منبه مثله] وا أعلم ويزيد بن سنان أبو فروة الرهاوي ضعيف بمرة لا يعتمد عليه .

وقد قيل : إن نوحا عليه السلام لم يولد له هؤلاء الثلاثة الأولاد إلا بعد الطوفان وإنما ولد له قبل السفينة " كنعان " الذي غرق و " عابر " مات قبل الطوفان .

والصحيح أن الأولاد الثلاثة كانوا معه في السفينة هم ونساؤهم وأمهم وهو نص التوراة وقد ذكر أن " حاما " واقع امرأته في السفينة فدعا عليه نوح أن تشوه خلقه نطفته فولد له ولد أسود هو كنعان بن حام جد السودان وقيل بل رأى أباه نائما وقد بدت عورته فلم يسترها وسترها أخوه فلهذا دعا عليه أن تغير نطفته وأن يكون أولاده عبيدا لإخوته .

وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير من طريق علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه قال : قال الحواريون لعيسى ابن مريم : لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة فحدثنا عنها قال : فانطلق بهم حتى أتي إلى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب بكفه وقال أتدرون ما هذا ؟ قالوا : ا ورسوله أعلم قال : هذا كعب حام بن نوح قال : وضرب الكثيب بعصاه وقال : قم بإذن ا فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب فقال له عيسى عليه السلام هكذا هلكت ؟ قال : لا ولكني مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت .

قال : حدثنا عن سفينة نوح قال : كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات : فطبقة فيها الدواب والوحش وطبقة فيها الإنس وطبقة فيها الطير فلما كثر أرواث الدواب أوحى ا D إلى نوح عليه السلام أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث ولما وقع الفأر يخرز السفينة بقرضه أوحى ا D إلى نوح عليه السلام : أن أضرب بين عيني الأسد فخرج من منخرة سنور وسنورة فأقبلا على الفأر فقال له عيسى : كيف علم نوح عليه السلام أن البلاد قد غرقت ؟ قال : بعث الغراب يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها فدعا عليه بالخوف فلذلك لا يألف البيوت .

قال : ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجلها فعلم أن البلاد قد غرقت فطوقها الخضرة التي في عنقها ودعا لها أن تكون في أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت قال : فقالوا : يا رسول ا ألا ننطلق به إلى أهلينا فيجلس معنا ويحدثنا ؟ قال : كيف يتبعكم من

لا رزق له ؟ قال : فقال له : عد بإذن ا فعاد ترابا وهذا أثر غريب جدا .

وروى علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا معهم أهلوهم وإنهم كانوا في السفينة مائة وخمسون يوما وإن ا وجه السفينة إلى مكة فدارت بالبيت أربعين يوما ثم وجهها إلى الجودي فاستقرت عليه فبعث نوح عليه السلام الغراب ليأتيه بخبر الأرض فذهب فوقع على الجيف فأبطأ عليه فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون ولطخت رجليها بالطين فعرف نوح أن الماء قد نضب فهبط إلى أسفل الجودى فابتني قرية وسماها ثمانين فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة إحداها العربية وكان بعضهم لا يفقه كلام بعض فكان نوح عليه السلام يعبر عنهم .

وقال قتادة وغيره : ركبوا في السفينة في اليوم العاشر من شهر رجب فساروا مائة وخمسين يوما واستقرت بهم على الجودي شهرا وكان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من المحرم وقد روى ابن جرير خبرا مرفوعا يوافق هذا وأنهم صاموا يومهم ذلك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو جعفر حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدي عن أبيه حبيب ابن عبد ا عن شبل عن أبي هريرة قال : مر النبي A بأناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء فقال : [ما هذا الصوم] ؟ فقال : هذا اليوم الذي نجى ا فيه موسى وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون وهذا اليوم استوت فيه السفينة على الجودى فصامه نوح وموسى عليهما السلام شكرا D : فقال النبي A : [أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم] وقال لأصحابه : [ومن كان منكم أصبح صائما فليتم صومه ومن كان منكم قد أصاب من غذ أهله فليتم بقية صومه] .

وهذا الحديث له شاهد في الصحيح من وجه آخر والمستغرب ذكر نوح أيضا وا أعلم .

وأما ما يذكره كثير من الجهلة أنهم أكلوا من فضول أزوادهم ومن حبوب كانت معهم قد استصحبوها وطحنوا الحبوب يومئذ واكتحلوا بالإثمد لتقوية أبصارهم لما انهارت من الضياء بعد ما كانوا في ظلمة السفينة - فكل هذا لا يصح فيه شيء - وإنما يذكر فيه آثار منقطعة عن بني إسرائيل لا يعتمد عليها ولا يقتدى بها وا أعلم .

وقال محمد بن إسحاق : لما أراد ا أن يكف ذلك الطوفان أرسل ريحا على وجه الأرض فسكن الماء وانسدت ينابيع الأرض فجعل الماء ينقص ويغيض ويدبر وكان استواء الفلك على الجودي - فيما يزعم أهل التوراة - في الشهر السابع عشر ليلة مضت منه وفي أول يوم من الشهر العاشر رئيت رؤس الجبال فلما مضى بعد ذلك أربعون يوما فتح نوح كوة الفلك التي صنع فيها ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء فلم يرجع إليه فأرسل الحمامة فرجعت إليه ولم يجد لرجلها موضعا فبسط يده للحمامة فأخذها فأدخلها ثم مضت سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له ما فعل الماء فلم ترجع فرجعت حين أمست وفي فيها ورق زيتونة فعلم نوح أن الماء قد قل عن

وجه الأرض ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع إليه فعلم نوح أن الأرض قد برزت فلما كملت السنة فيما بين أن أرسل ا الطوفان إلى أن أرسل نوح الحمامة ودخل يوم واحد من الشهر الأول من سنة اثنين برز وجه الأرض وظهر البر وكشف نوح غطاء الفلك .

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق هو بعينه مضمون سياق التوراة التي بأيدي أهل الكتاب .

وقال ابن إسحاق : وفي الشهر الثاني من سنة اثنين في ست وعشرين ليلة منه { قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم } .

وفيما ذكر أهل الكتاب أن ا كلم نوحا قائلا له : اخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك وجميع الدواب التي معك ولينموا وليكثروا في الأرض فخرجوا وابنتي نوح مذبحا D وأخذ من جميع الدواب الحلال والطير الحلال فذبحها قربانا إلى ا D وعهد ا إليه ألا يعيد الطوفان على أهل الأرض وجعل تذكارا لميثاقه إليه القوس الذي في الغمام وهو قوس قزح الذي روى عن ابن عباس أنه أمان من الغرق قال بعضهم : فيه إشارة إلى أنه قوس بلا وتر أي أن هذا الغمام لا يوجد طوفان كأول مرة .

وقد أنكر طائفة من جهلة الفرس وأهل الهند وقوع الطوفان واعترف به آخرون منهم وقالوا : إنما كان بأرض بابل ولم يصل إلينا قالوا ولم نزل نتوارث الملك كابرا عن كابر من لدن كيومث - يعنون آدم - إلى زماننا هذا .

وهذا قاله من قاله من زنادقة المجوس عباد النيران وأتباع الشيطان وهذه سفسطة منهم وكفر فظيع وجهل بليغ ومكابرة للمحسوسات وتكذيب لرب الأرض والسموات .

وقد أجمع أهل الأديان الناقلون عن رسل الرحمن مع ما تواتر عند الناس في سائر الأزمان على وقوع الطوفان وأنه عم جميع البلاد ولم يبق ا أحدا من كفرة العباد استجابة لدعوة نبيه المؤيد المعصوم وتنفيذا لما سبق في القدر المحتوم